المحاضرة (11)

4/ دراسة الحالة

تعد من الأساليب التي يستخدمها الكثير من الباحثين في نطاق الدراسات المتصلة بالسلوك الإجرامي، والتي يقصد بها تلك الوسيلة العلمية المستخدمة في جمع البيانات الاجتماعية وتحليلها وتصنيفها .

ويتم ذلك في نطاق علم الأجرام بجمع البيانات عن وحده اجتماعية قد تتمثل في فرد من الأفراد، فيما يتعلق بحياته بأكملها أو بالنسبة لجزء منها بهدف التوصل إلى فحص حالته العضوية وتحليل نفسيته والتعرف على الظروف الاجتماعية المحيطة به، كما قد تتمثل هذه الدراسة في مجموعة من الأفراد يجمعهم ظرف اجتماعي متشابه كالتصدع العائلي مثلا.

أن هذه الدراسة لا تتحقق بالاعتماد على وسيلة معينة، وإنما ينبغي اللجوء إلى أكثر من وسيله في جمع المعلومات، على أن تكون هذه الوسائل مختلفة تبعا للاتجاهات والجوانب المختلفة التي يتطلب دراستها، فدراسة حالة المجرم دراسة معمقة تستلزم الرجوع إلى البيانات الخاصة بحالته العضوية والعقلية والنفسية دون الاقتصار على البيانات الخاصة بالظروف الاجتماعية التي أحاطت به، عامة كانت هذه الظروف أم خاصة. تقييمها: تعد دراسة الحالة من أهم الأساليب التي تساعد على التشخيص الكامل للحالة موضوع الدراسة، إضافة إلى كونها أهم الوسائل المتبعة في جمع المعلومات والبيانات التي تقتضيها طبيعة البحث في نطاق علم الأجرام لأنها تمثل إسلوب عام التنسيق وجمع وربط هذه البيانات من أجل التوصل إلى أفضل الصيغ المتبعة في تفسير وتحليل السلوك الإجرامي للفرد .

وعلى الرغم من المزايا المتقدمة لأسلوب دراسة الحالة، الا أنها تعرضت للكثير من الانتقادات ومن أهمها ما يأتي:

آ- أن تفسير الانحرافات يكون موضع تحيز من الباحث أكثر مما تقتضيه الحالة إستجابة لفكرة خاطئة أثرت عليه، مما يترتب عليه أن الباحث قد يرى في عناصر الحالة الواحدة الاتجاهات التي تناسب فكرته السابقة لتفسير الانحراف فيعتمد تلك الاتجاهات ويهمل غيرها، مما يخشى معه أن

يبتعد بهذا التفسير عن المنهج العلمي الذي من أهم سماته التزام الباحث بالموضوعية المجردة في إعتماد نتائج البحث.

ب- ان محل أغلب الدارسين للحالة مع هيئات لديها تعامل مع الجانحين طلبت قيامهم بهذه الأبحاث، مما يخشى من ذلك هو إحتمال أن توجه هذه البحوث والدراسات نحو إصلاح مواطن الانحراف أكثر من توجهها نحو تفهم أسباب الانحراف.

5/ الملاحظة

يقصد بها المشاهدة الدقيقة لظاهرة من الظواهر بعد الاستعانة بالأجهزة والآلات والوسائل التي تتلائم مع طبيعة هذه الظاهرة، ويتطلب هنا إضافة إلى التسجيل السلبي للوقائع المتصلة بالظاهرة حل الدراسة أن يكون مقترنا بجهد عقلي يبذل من أجل التوصل إلى الكشف عما قد يكون خفيا من روابط تتعلق بالظاهرة المذكورة، لهذا فقد انتهى علماء الاجتماع إلى القول بأن الملاحظة هي (تحليل وتنسيق وربط و استنتاج) وتبرز أهمية الملاحظة في نطاق الدراسات الجنائية من حيث أن هناك نتائج علمية يصعب الوصول إليها دون إتباع إسلوب الملاحظة، مثال ذلك: مراقبة سلوك وتصرفات الإحداث أو المجرمين المصابين بمرض عقلي أو نفسي، وتزداد أهمية الملاحظة متى ما لجأ الباحث إلى الملاحظة بطرق المشاركة، أذ يصل إلى كثير من المعلومات التي يتعذر الحصول عليها فيما لو سلك طريقا آخر.

ويقتضي الاستخدام السليم للملاحظة، توافر صفات خاصة في الملاحظ من أهمها أن يتصف بالتجرد في نظرته إلى الظاهرة محل الدراسة، ويتمتع بقدر كاف من المعلومات والخبرة، وأن يكون بالتالي موضوعيا عند تقييمه للنتائج التي يتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

أنواع الملاحظة: تنقسم الملاحظة من حيث إسلوب إدائها إلى ملاحظة بسيطة و آخرى منظمة.

1- الملاحظة البسيطة: تتحقق بالاطلاع على المادة محل البحث أو بالاستماع إليها دون الاستعانة بوسيلة فنية أخرى، فهي تعتمد على مجرد الرصد والتعميم والتحليل.

وتنقسم الملاحظة البسيط إلى ملاحظه بالمشاركة وأخرى بدون مشاركة.

فالملاحظة بالمشاركة تتم عن طريق العلاقات الوطيدة التي يقيمها الباحث مع الجماعة التي تكون موضع دراسته بحيث يكسب ثقة الجماعة الكاملة. وبهذه الوسيلة يتمكن الملاحظ من الوقوف على جميع الحقائق والأمور بصورة أكثر صدقا ويقينا من اجل الوصول إلى الحقيقة، ومع ذلك يؤخذ على هذه الطريقة بأن دور الملاحظ لا يتعدى فهم ودراسة صورة معينة من النشاط الفردي فقط، كما أن التعاون الذي يبذله الملاحظ يبقى قاصرا على بعض أفراد الجماعة وليس جميعهم، وعلى أساس هذين المأخذين لا يمكن للملاحظ من مراقبة بقية الصور الأخرى من النشاط، أو شمول تعاونه لجميع أفراد الجماعة مما ينعكس ذلك على مساسه بالأهداف المرجوة من الملاحظة .

أما الملاحظة بدون مشاركة فإنها تتحقق بمصارحة الملاحظ لأفراد المجموعة محل بحثه ودراسته بطبيعة دوره وحقيقته دون أن يقوم بأي نشاط مع أفراد هذه المجموعة، وإنما يكتفي بتكوين علاقات متينة معهم، ولاشك أن هذا الأسلوب يتيح للملاحظ حرية في العمل أوسع من الحرية التي يتيحها أسلوب الملاحظة بالمشاركة، ولكن تحقيق النتائج يعتمد على مقدار الثقة التي يحصل عليها الملاحظ من الجماعة التي تكون مقترنة بقناعتهم بتأثير وفاعلية المهمة التي يقوم بها الملاحظ، ومن مزايا هذا الأسلوب أنه يجنب الباحث الكثير من الإشكالات التي يوجهها عند اختلاطه واندماجه كليا مع العينة محل البحث، (38). اضافة إلى تمتع الملاحظ بحرية الحركة والمرونة في التصرف بحيث يستطيع ملاحظة الأمور التي تهمه فقط وتثبيت البيانات والمعلومات التي يراها جديره بالتسجيل ولكن مع ذلك يعيب على هذا الأسلوب أنه لا يسمح للباحث بأن يرى مجريات الأمور وتسلسل الحوادث على الطبيعه مما يؤثر في دقة و قيمة النتائج التي يحصل عليها .

2-الملاحظة المنظمة: أن هذه الملاحظة تعتمد على استخدام الآلات والوسائل التي تعاون الملاحظ في الوصول إلى الحقيقة العلمية، كالاستمارات والاختبارات وأجهزة التصوير والتسجيل والمقاييس والتحاليل الطبية، وعلى ذلك فان الملاحظة المنظمة تقوم على جهد فكري يبذله الباحث من اجل تجميع وتنسيق المعلومات وتحليلها، وعلى استعانة الباحث بالآلات والأجهزة والوسائل التي تتلائم مع طبيعة الظاهرة. وجدير بالذكر أن العلم الحديث قد توصل إلى مجموعة متطورة من الآلات والأجهزة التي من شأنها تسهيل المشاهدة الدقيقة للظاهرة محل الدراسة، كأجهزة الرادار التي تراقب وتسجل كل ما يدور في المكان المراد مراقبته، أو أجهزة ألمرقبه ألدقيقة التي تقوم بتسجيل الحوادث الجنائية بشكل يمكن معه الأستفاده منها في تحليل المعلومات وتنسيقها ومن ثم تفسيرها وصولا إلى

الحقيقة التي ينشدها الملاحظ. ومن هنا يتضح أن استخدام الآلات والأجهزة ينطوي على أهمية كبير في نطاق المنهج العلمي التجريبي وبخاصة في دراسات علم الأجرام.